مجلة الجامعة الأسمرية: العلوم الشرعية والإنسانية
المجلد (31) العدد الأول (يونيو 2018)

الجمع بين الخوف والرجاء في القرآن الكريم

د. أبو بكر محمد أبو بكر نور الدين
قسم علوم القرآن – كلية التربية – جامعة سبها

Abobakrmohamed395@gmail.com

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، تبصرة لأولي الألباب، وأودعه من فنون العلوم والحكم العجب العجاب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب الأرباب، وأشهد أن نبينا، ورسولنا، محمداً عبدُه ورسولُه، المبعوثُ من أكرمِ الشعوبِ وأشرفِ الشعاب، إلى خيرِ أمةٍ بأفضلِ كتاب، صلّى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الأنجاب، صلاةً وسلاماً دائمين إلى يوم المآب، وبعد...

فإن القرآن الكريم سلك منهجاً قويماً في خطابه؛ فتنوع الأسلوب الذي عرض فيه القرآن خطابه، كما تعددت الوسائل والأدوات، فتارة يعرض الأحكام التشريعية وفق مقتضى المناسبة، وتارة يقرن هذا العرض بالتخويف والترجية والوعد والوعيد، كل ذلك من أجل مصلحة ما، ألا وهي قبول العباد لما فيه من تكاليف، دون أن تشعر نفوسهم بالسآمة والملل، وبالتالي يكون ذلك مشوقاً للقارئ، وداعياً على الامتثال لأوامر الخالق، والانتهاء عن ما نهى عنه.

يجد المتتبع أساليب الخوف والرجاء في القرآن الكريم: أن القرآن صرفها بطرائق شتى، وأوجه متعددة، غاية في الروعة والبيان، وهذا من إعجازه لتحقيق مقاصده المتنوعة، حيث يقول في ذلك – جل شأنه -: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ

ذِكۡرٗا ﴾(1)، وهو المنهج الذي سار على سبيله الرسل الكرام، إذ كانوا يبشرون المؤمنين بالجنة، وينذرون الكفرة من النار، قال – تعالى-: ﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ ﴾ (2)، لا سيما سيد الكائنات - صلوات الله وسلامه عليه -؛ حيث أمره ربه أن يقرن منهج الدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالحسنى، وبين له أن الفظاظة والغلظة تورثان نفوراً وضجراً؛ فالموعظة باعتبارها معادلة يجب الموازنة بين طرفيها – الخوف والرجاء - راجعة إلى معنى الاعتدال والتوسط، ويدل الجمع بين الخوف والرجاء في القرآن الكريم على الاعتدال، وقد رسم القرآن الكريم لنا هذا المنهج في خطاباته بشكل عام، يتضح ذلك من آيات التوحيد، والأحكام، والقصص، والأمر والنهي.

أهمية الموضوع:

يمثل الخطاب القرآني في الجمع بين الخوف والرجاء معياراً وسطاً بين الشدة واللين، مما يلائم النفس البشرية في الثواب والعقاب، ويؤكد هذا الأسلوب نظرة القرآن الكريم إلى الإنسان، فهو يخاطبه بالأسلوب الذي يؤثر فيه، ومن هنا يحدثه عن الثواب والنعيم، ويشوقه إلى المسارعة في الخيرات، كما يحدثه عن العقاب والنار، ليكون في مكانة متوازنة، ومن هنا تكمن أهمية الدراسة – في نظر الباحث – في الربط بين آيات الخوف والرجاء مع اللجوء إلى المنهج التحليلي لآيات موضوع البحث، وآراء العلماء فيها، مع المناقشة عند الحاجة.

(1) سورة طه،113.
(2) سورة الأنعام، 48.

الإشكـاليـة:

حوت آيات القرآن الكريم أساليب شتى مـن الخوف والرجاء، فيذكر النعيم والجنة أولاً، ثم يتبع ذلك بذكر النار، وبالعكس يبدأ بالتخويف والإنذار، قبل الرجاء والتبشير، أو يغلب أحدهما على الآخر، وهـذه عـادة قرآنية كما ذكر صاحب الكشاف.

يلحظ المتدبر بتمعن فـي القرآن الكريم: أن خطابه يتمثل فـي كونه بنية شاملة، تتكون مـن مجموعة مـن العناصر، وهـذه البنية لا تقبل التجزئة؛ بحيث لو حذف عنصر مـن العناصر، أو قدّم عنصر علـى آخر لاختل نظام بنية الخطاب، وهـذا ينطبق علـى نظام الجمع بين الخوف والرجاء الـذي يختلـف عن أنواع الخطاب الأخرى فـي القرآن الكريم؛ فكل نوع لـه خصوصيته، وله عناصره، وطريقة تناوله الظاهرة المراد تبليغها للمتلقي.

منـهج البحث:

كـان مـن أهم الـوسائل لجمع معلومات حول هذا الموضع هي الاستقراء، بتتبع آيـات الخوف والرجاء، ثم الوقوف علـى المعايير التـي يتم وفقاً لها رصد الآيات التـي تتضمن منهج الجمع بين الخوف والرجاء، مع التعرض بالخصوص لدلالات الألفاظ لهذين المصطلحين.

كمـا اعتمد الباحث علـى جملة من كتب التفسير، ومفردات القرآن، ثم استعراض جملة مـن أقوال العلماء، التي تحدد موقفهم من استخدام الجمع بين الخوف والرجاء.

ومـن أهـم المناهج التي سـار عليها الباحث فـي دراسته: المنهـج الـوصفي، والمنهج التحليلي، متخـذاً الاستقـراء والتحليل فـي دراسة الجزئيات، بهـدف الـوصول إلـى فهـم الكليات، ثم الوصول إلـى قانون عام، ونتيجة تهدف إلـى ربط هـذه الجزئيات.

وبعد رصد الآيات المتضمنة للخوف والرجاء، اكتفى الباحث بتناول الآيات التـي جمعت بين الخوف والرجاء، كي تتلاءم وحجم الموضوع، ومن هنا تم رصد الآيـات التـي ستكون موضوع الدراسة، فاقتضت طبيعة البحث أن

تبنى على مقدمة، وعلى أربعة مباحث، يعقبها خاتمة تتضمن أهم نتائج الدراسة، وبعد الخاتمة فهرس لأهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها الباحث.

وأخيراً وليس آخراً يرجو الباحث أن يكون هذا العمل خالصاً لوجه الله الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت، وإليه أنيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

مفهوم الجمع بين الخوف والرجاء

أولاً: معنى الجمع:

الجمع لغة: مصدر قولك: جمعت الشيء إذا جئت به من ههنا وههنا(1)، والمعنى: ضم الشيء بتقريب بعضه من بعض، يقال: جمعته فاجتمع(2)، ومنه قوله تعالى-: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ﴾ (3)، وعند المحاسبين: زيادة عدد على عدد، وما حصل من تلك الزيادة يسمى مجموعاً(4).

والجمع اصطلاحا: هو الجمع بين شيئين فأكثر في خبر واحد، أو وصف واحد أو شبه واحد(5)؛ كأن تجمع بين شيئين متضادين، مثل: الضحك والبكاء، والحياة والموت، قال - تعالى-: ﴿فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا﴾(6)، وقوله – تعالى-: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ﴾(7)، وفي الحديث قوله -ﷺ-: « لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»(8)، وعبر عنه الزركشي، بالطباق؛ فذكر: أن الطباق في الآية بين الضحك والبكاء، والقليل والكثير؛ وهو أن تجمع بين متضادين مع مراعاة التقابل، كالبياض والسواد والليل والنهار(9)، وجمع الخطاب القرآني بين الخوف والرجاء في كثير من الآيات، كقوله – تعالى-: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ (10)، وكان رسول الله -ﷺ- يسمي هذه الآية: الجامعة الفاذة، نص على ذلك حين سئل

عن الحُمُر، فعن أبي هريرة -ﷺ- قال: سُئل النبي -ﷺ- عن الحُمُر، فقال: " لَمْ يُنْزَلْ عَلَيَّ فِيهَا شَيْءٌ إِلَّا هَذِهِ الآيَةُ الجَامِعَةُ الفَاذَّةُ: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) »(11)، وفي معنى الحديث يقول ابن العربي: " فلما ذكر النبي -ﷺ- ما في الخيل من الأجر الدائم والثواب المستمر، سأل السائل عن الحُمُر، لأنهم لم يكن عندهم يومئذ بغل ... فأفتاه في الحمير بعموم الآية"(12)، والآية الوارد ذكرها في الحديث معدودة من جوامع الكلم(13)، وهذا ما أمر الله -ﷻ- رسوله -ﷺ- وهو أن يقول قولاً جامعاً بين الرجاء والرغبة والخوف والرهبة(14)، يقول محمد محمود حجازي: " هذه السورة – سورة الزلزلة – سورة ترغيب وترهيب"(15)، أي أنها تجمع أشياء من الخير والشر.

ثانياً: معنى الخوف:

الخوف لغة: الفزع، يقال: خافه خوفاً وخيفة ومخافة، أي فزع منه(16)، وهذا الفزع محله القلب، ومن ثم تخف له الأعضاء، ولخفة الأعضاء به سمي خوفاً(17)، والفزع: توقع حدوث مكروه أو فوت أمر محبوب، وخوّفه: جعله يخاف منه، يقول ابن منظور: " خوفته إذا جعلته بحالة يخافه الناس، وخوَّف الرجل: جعل الناس يخافونه"(18)، والإخافة: التخويف، يقال: وجع مخيف، أي يخيف من رآه، وطريق مخوِّف، لأنه لا يخيف، وإنما يخيف فيه قاطع الطريق(19)، يقول الزمخشري: " وما كان الطريق مخوفاً فخوفه السبع أو العدو"(20)، والتخوف التنقص، يقال: تَخَوّفَ الشيء: تنقصه(21)، وبه فسر قوله - تعالى-: ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ﴾(22)، والمعنى: يأخدهم على تنقص من أطراف بلادهم، وقد أشكل معنى التنقص على عمر بن الخطاب -ﷺ- عندما قرأ الآية على المنبر، فقال: ما تقولون فيها؟ فقام شيخ من هذيل وقال: هذه لغتنا، التخوف: التنقص، فقال عمر: وهل تعرف العرب ذلك في كلامها؟ قال: نعم، وأنشد قائلاً:

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكاً قَرِداً كَمَا تَخَوَّفَ عُود النَّبْعَة السَّفَنُ(23)

الخوف اصطلاحاً: يعرف الخوف في الاصطلاح بأنه: " توقع حلول مكروه، أو فوات محبوب، وهو ضد الأمن"(24)، ويتضح احتواء التعريف على معنيين؛ الأول ما يشعر به القلب من الخوف من الأمر المخوف؛ كالخوف من دخول النار، والثاني فوات الأمر المرغوب فيه؛ كالخوف من

عدم دخول الجنة، يقول الغزالي: " الخوف: عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال"(25)، " والخوف من الله لا يراد به ما يخطر بالبال من الرعب كاستشعار الخوف من الأسد، بل إنما يراد به الكف عن المعاصي واختيار الطاعات، ولذلك قيل لا يعد خائفاً من لم يكن للذنوب تاركاً"(26)، يقول ابن القيم: " الخوف المحمود الصادق: ما حال بين صاحبه وبين محارم الله -ﷻ-"(27)، ويعرّفه ابن عطية بقوله: " الخوف: هو الهم بما يستقبل"(28)، ويعرّف القرطبي الخوف بأنه: " الانزعاج لما لا يؤمن من المضار"(29)، ويعرّفه ابن القيم بأنه: الخروج عن طمأنينة الأمن باستحضار ما أخبر به الله من الوعد والوعيد(30).

يفهم من هذه التعريفات: أن الخوف يضاده الأمن؛ فالأمن ضد الخوف، وقد جمعا معاً في قوله - تعالى-: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾(31)، والإنسان بطبعه يخاف كل مجهول، ويخاف الظلمة، ويخاف الفقر، ويخاف الموت، وينبغي للمؤمن الذي رسخ الإيمان في قلبه أن يكون أكثر خوفه من الله – تعالى-، وقد وردت آيات كثيرة في كتاب الله – تعالى– تبين الخوف منه – سبحانه، وكذلك الخوف من وعيده وعذابه منها قوله - تعالى-: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾(32)، والله - تعالى- يرسل بالعبر والذكر تخويفاً للناس، بما شاء من آية لعلهم يعتبرون، أو يذكرون، أو يرجعون(33)، قال – تعالى-: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾(34)، يقول الغزالي: " الخوف هو النار المحرقة للشهوات، فإذا فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوة، وبقدرها ما يكف عن المعصية ويحث على الطاعة، وكيف لا يكون الخوف إذاً فضيلة، وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة والأعمال الفاضلة التي يتقرب بها إلى الله –ﷻ– كما علم من الآيات"(35).

ثالثاً: معنى الرجاء:

الرجاء لغة: الأمل المتوقع قريباً، يقول الجوهري: " الرجاء من الأمل، يقال: رجوت فلاناً رجاءً ورجاوةً"(36)، ويقال: " ما أتيتك إلا رجاوة الخير"(37)؛ أي أملاً في الخير، ورجيتنى حتى ترجيت، كقولك منيتني حتى

تمنيت، وتقول: أرجو من الله المغفرة، ورجوت في ولدي الرشد(38)، ويستعمل الرجاء أحياناً بمعنى الخوف؛ ويكون ذلك مجازاً، يقول الزمخشري: " من المجاز: استعمال الرجاء في معنى الخوف والاكتراث، يقال: لقيت هولاً ما رجوته وما ارتجيته"(39)، فمن رجا شيئاً فهو غير قاطع بحصوله، فلا يخلو من خوف فوت ما يرجو(40)، ومنه قوله - تعالى-: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾(41)، والمعنى: مالكم لا تخافون لله عظمة، أو مالكم لا تأملون لله توقيراً وتعظيماً، يقول القرطبي: " الرجاء هنا بمعنى الخوف، أي مالكم لا تخافون لله عظمة وقدرة على أحدكم بالعقوبة"(42)، ويقول ابن العربي: " عبّر عن العقاب بالوقار؛ لأن من عظّمه فقد عرفه، وعن الخشية بالرجاء، لأنها نظيرته"(43).

ومن معاني الرجاء في اللغة: (التأخير)، يقال: أرجأت الأمر إذا أخرته، ومنه سميت المرجئة؛ وهم فرقة من فرق الإسلام، يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة فهم بذلك قدّموا القول وأخروا العمل(44)، ولهذا قيل: "عش ولا تغتر بالرجاء ولا يغرر بك مذهب الإرجاء"(45).

يفهم من هذه التعريفات: أن الرجاء في اللغة يراد به الأمل، وهو الأصل فيه، ويستعمل الرجاء في معنى الخوف كما مر بنا، فالخوف والرجاء متلازمان، وكذلك يعني التأخير، والذي يهمنا من ذلك هو معنى الأمل، وهو ما سيتضح معناه.

الرجاء اصطلاحاً: يعرّف الرجاء في الاصطلاح بأنه: " تعلق القلب بحصول محبوب في المستقبل"(46)، ويعرّفه الراغب بقوله: " الرجاء: ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة "(47)، ويعرّفه الغزالي بأنه: " ارتياح القلب لانتظار محبوب عنده"(48)، وقيل الرجاء: حاد يحدو القلوب إلى الله والدار الآخرة، ويطيّب لها السير، وقيل: هو الاستبشار بجود وفضل الرب – تبارك وتعالى-، والفرق بينه وبين التمني: أن التمني لا يسلك بصاحبه طريق الجد والاجتهاد، والرجاء يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل؛ لأن الرجاء الحقيقي ما كان باعثاً على الاجتهاد في الأعمال، وإلا فهو مجرد أمنية لا طائل تحتها(49).

يفهم من هذه التعريفات: أن الرجاء أمل في النفس بانتظار أمر مرغوب فيه، وبما أنه أمر غير مؤكد حصوله فهو ظن كما قال الراغب، والأمر

المنتظر لنيل المشتهى هو ما ترتاح به النفس وتسر، وهو ما عبّر عنه الغزالي بارتياح القلب، وجاء في تعريف الطاهر بن عاشور للرجاء ما يجمع هذه المعاني، وهو يقول: "الرجاء: ترقب الخير مع تغليب ظن حصوله"(50)، وقال في موضع آخر: " الرجاء: الترقب واعتقاد الوقوع في المستقبل"(51).

المبحث الثاني

الحكمة من الجمع بين الخوف والرجاء

جمع الخطاب القرآني بين الخوف والرجاء، وتفنن في عرضه بأساليب مختلفة، غاية في الروعة والدقة، ومن ثم جعل هذا المنهج من عاداته، كل ذلك تحقيقاً لمصالح المخاطبين، وهو إن دلّ على شيء فإنما يدل على حكمته -ﷻ- وإعجاز كلامه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهو – جل شأنه – أحكم الحاكمين، وحكمته تتمثل في إحاطة علمه بالأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، يقول الراغب الأصفهاني: " الحكمة من الله – تعالى– إحاطة علمه بالأشياء وإيجادها على غاية الإحكام"(52).

ومن هنا نفهم: أن الحكمة لا تقتصر على الكلام الليّن أو الرجاء فقط، بل هي إتقان الأمور وإحكامها، بأن تنزل جميع الأمور منازلها، فيوضع الرجاء في موضعه، ويوضع التخويف في موضعه، أو يجمع بينهما في خطاب واحد، كل ذلك بإحكام وإتقان، مراعاة لأحوال المدعوين، يقول ابن كثير: " هذا الإرشاد يدل على العقول السليمة، والفطر المستقيمة، على أنه لابد من معاد وجزاء، فإنا نرى الظالم الباغي يزداد ماله وولده ونعيمه ويموت كذلك، ونرى المطيع المظلوم يموت بكمده، فلابد في حكمة الحكيم العليم العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة من إنصاف هذا من هذا"(53)، وقد عدد ابن القيم ثلاث درجات للحكمة في كتابه: (مدارج السالكين)، سنقتصر الحديث على المهم منها، وماله اتصال بالخوف والرجاء، حيث قال: من درجات الحكمة: أن تشهد نظر الله في وعده، وتعرف عدله في حكمه، وتلحظ بره في منعه، بمعنى أن تعرف الحكمة من الخوف والرجاء كما في قوله – تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾(54)، فتشهد عدله في ترهيبه، وإحسانه في ترغيبه، وكل قائم بحكمته(55).

فالحكمة لابد من اعتبارها عند الجمع بين الخوف والرجاء، بل إن التوازن بينهما، وعدم الجنوح إلى الإفراط والتفريط هو عين الحكمة، يقول رشيد رضا: " فلا يليق بحكمته - تعالى- وعدله أن يجعل الذين اجترحوا السيئات كالذين آمنوا وعملوا الصالحات، ولا أن يسوى بين الطيب والخبيث، كالمؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمصلح والمفسد، والمظلوم والظالم، فلابد إذاً من الجزاء بالحق، ولا يملك الجزاء إلا من يقدر على العقاب الشديد، وعلى المغفرة والرحمة"(56)، قال تعالى: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (57)، " فالآية متضمنة للوعد والوعيد، فهي وعيد لمن كفر وتولى عن العمل بكتاب الله، ووعد لمن آمن به وعمل الصالحات"(58)، لذا أنزل الله – تعالى– القرآن على هذا الحد الذي يتضمن المصالح والإعجاز، ووصف نفسه بما يجمع الوعد والوعيد والخوف والرجاء(59)، ولهذا الإعجاز حكمة؛ لأن حقيقة الوعد والوعيد تثبت صدق القرآن وصدق الرسول -ﷺ- يقول ابن القيم: " متى ثبت أن الوعد والوعيد حق ثبت صدق الرسول الذي جاء به، ومتى ثبت أن الوعد والوعيد حق ثبت صدقه وصدق الكتاب الذي جاء به"(60)، ويقول الطاهر بن عاشور: " أقام الله بحكمته نظام الجزاء في العالم الأخروي ونبه عليه بالوعد والوعيد"(61)، فالاعتدال إذاً هو الكمال، وهو إعطاء كل شيء حقه من غير زيادة ولا نقص، وهو الحكمة المنوه بها في قوله - تعالى-: ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ ﴾ (62)، ويعبر عن الاعتدال بالتوسط، وكون التوسط من أوصاف الإسلام ثابت بدلائل كثيرة عند الموازنة بين أحكام الأشياء في الإسلام، وأحكام نظائرها في الشرائع السالفة(63)، وقد نبه - تعالى– على هذه الصفة بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾(64)، والوسط في الآية بمعنى: (العدل)، يقول الترمذي: " الوسط: العدل"(65)، لذلك أكرم الله – تعالى- البشرية بهذا الكتاب المعجز الذي جاء بالمنهج الوسط الذي تجسدت فيه ملامح الوسطية من حكمة واستقامة واعتدال، فهو " كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الأعمال ومقابحها، المرغبة في المحاسن، والزاجرة عن المقابح، والحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى إلى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين، حيث أنزلت عليهم؛ فنجوا بها من ظلمات الضلال

إلى نور الإيمان، وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان"(66)؛ فإن لذكر الجنة والنار فائدة جليلة تتضح في كون ثواب الجنة يثير في الناس جانب الرجاء والرغبة بما يصفه القرآن من ألوان النعيم وأشكاله، وما يلذ ويطيب ويريح ويسعد ويفرح، حتى تكون صور النعيم المعروضة هي المثل العليا والنماذج البالغة الغاية، وعلى النقيض يثير عذاب جهنم في الناس جانب الرهبة والتخويف من كل ما وصفه القرآن من ألوان العذاب وأشكاله، حتى تشفع البشارة بالإنذار، فينشط العبد إلى اكتساب ما يؤول جزاؤه إلى الجنة، ويتجنب ما يؤول جزاؤه إلى جهنم(67)، وهو ما يتماشى مع طبيعة النفس البشرية التي تحتاج دائماً وأبداً إلى الترغيب في الخير والحث عليه، وبيان أجر فاعله وجزائه في الدنيا والآخرة، والترهيب من الشر، وبيان ما يترتب عليه من العاقبة السيئة في الدنيا والآخرة، وعلى هذا الأساس اهتم القرآن الكريم بتربية النفوس، فحث الناس على الالتزام بالفضائل واجتناب الرذائل، يقول الزركشي: " فالمرغب في الإيمان مثلاً، إذا مثل له بالنور تأكد في قلبه المقصود، والمزهد في الكفر إذا مثل له بالظلمة تأكد قبحه في نفسه"(68)، " فإذا كان الثواب علاجاً لبعض النفوس، فإن العقاب بالمخالفة علاج لبعضها الآخر"(69).

ومن حكمته - تعالى– في استمالة عباده إلى الإسلام ما عرضه في كلامه من الجمع بين الخوف والرجاء، اللذين يشبهان كفتي الميزان في لزوم توازنهما لتحقيق الغاية المقصودة من استمالة الناس إلى الدين، فإذا لم يفد الرجاء بعض القلوب الغافلة، فإن الخوف يأتي ليقرعها لتنتبه من غفلتها، يقول ابن الوزير: " الجمع بين الخوف والرجاء سنة الله وسنة رسله عليهم السلام وسنة دين الإسلام"(70).

والناظر في القرآن الكريم: يلحظ أنه كلما وصف أهل الجنة وصفهم بأرقى أعمالهم وأجل صفاتهم تعريفاً لهم بالجنة، قال – تعالى-: ﴿وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ٦﴾ (71)، وكلما وصف أهل النار وصفهم بأشد أعمالهم وأشدها إثارة لغضب الله - تعالى-، " والحكمة من ذلك أن الإنسان إذا تأمل صفات المؤمنين وعرضها على حاله رأى نفسه دون ذلك المستوى، فيتقاصر به الأمل في أن يكون واحداً منهم، ولكنه إذا تأمل صفات أهل النار وعرضها على نفسه رأى أنه بعيد عنها، فيراوده الأمل أن لا يكون منهم، ويبقى في تقديره على حالة وسطى بين هؤلاء وأولئك، تشده رغبة، وتخيفه رهبة، فيجتهد أن يعلو بسعيه

وسلوكه عن حال أهل النار، ويسعى للحاق بحال المؤمنين أهل الجنة"(72)، يقول ابن القيم: " فالنفس تدعو إلى الطغيان وإيثار الحياة الدنيا، والرب يدعو عبده إلى خوفه ونهي النفس عن الهوى، والقلب بين الداعيين، يميل إلى هذا الداعي مرة وإلى هذا مرة، وهذا موضع المحنة والابتلاء"(73)، ولأجل هذه الحكمة سأل النبي -ﷺ- رجلاً عن عبادته فأجابه، ثم سأله ثانية مميزاً العبادة بالرغبة والرهبة، فقال -ﷺ-: « **يَا حُصَيْنُ كَمْ تَعْبُدُ اليَوْمَ إِلَهًا**»؟ قَالَ أَبِي: سَبْعَةً سِتَّةً فِي الأَرْضِ وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ، قَالَ: « **فَأَيُّهُمْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ**»؟ قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ، قَالَ: « **يَا حُصَيْنُ أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَسْلَمْتَ عَلَّمْتُكَ كَلِمَتَيْنِ تَنْفَعَانِكَ**»، قَالَ: فَلَمَّا أَسْلَمَ حُصَيْنٌ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِيَ الكَلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَعَدْتَنِي، فَقَالَ: « **قُلْ: اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي، وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي**»(74)، " ولإكمال الوصول إلى الغاية من هذا المسلك أقام نظام الشريعة أمناء ووزعة لتنفيذ أحكامها ومقاصدها في الناس بالرغبة والرهبة"(75)؛ لأن القاعدة السياسية الإسلامية للأمة هي إجراء مقاصد الشريعة بالرغبة والرهبة(76)، ولابن القيم عبارات رائعة في وصف منهج الله وشريعته، وهو قوله: " إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم، ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، رحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها! فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه"(77)، ولا يزال المتدبر يستفيد من علوم القرآن ومعارفه ما يزداد به إيماناً، فبمجرد ما يتلو القرآن الكريم، ويعرف ما فيه من الخوف والرجاء يحصل له من أمور الإيمان خير كبير، فكيف إذا أحسن تأمله، وفهم مقاصده وأسراره؟ قال - تعالى-: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ (78)، وبذلك نستيقن أن القرآن الكريم جاءنا تبياناً لكل شيء، وعرض لنا صوراً من الخوف والرجاء، جمع بين أوجههما بحكمة بالغة تليق بالحكيم الخبير، وهو أحكم الحاكمين.

المبحث الثالث

دلالات الخوف والرجاء في القرآن الكريم

للخوف والرجاء ألفاظ تدل عليهما في القرآن الكريم، واستعمال مصطلحي (الخوف والرجاء) وارد في الشريعة الإسلامية بشكل عام؛ لأنها تعتمد اعتماداً أساسياً وكبيراً على مبدأ الثواب والعقاب، وتدخل الأوامر والنواهي في التخويف والترجية، يقول الفاضل بن عاشور: " إن دلالات القرآن الأصلية، التي هي واضحة بوضوح ما يقتضيه من الألفاظ والتراكيب، تتبعها معان تكون دلالة التراكيب عليها محل إجمال أو محل إبهام، إذ يكون التركيب صالحاً على الترديد لمعان متباينة يتصور فيها معناه الأصلي ولا يتبين المراد منها، كأن يقع التعبير عن ذات بإحدى صفاتها، أو يكنى عن حقيقة بإحدى خواصها، أو أحد لوازمها، على الطرائق البيانية المعهودة في اللغة العربية وغيرها، فينشأ عن ذلك إجمال، فيطلب بياناً، أو إبهام يتطلب تعييناً كما وقع ذلك في الكلام بصفة عامة"(79).

أولاً: دلالات الرجاء في القرآن الكريم:

1- المحبة: وهي تعلق القلب بين الهمة والأنس؛ لأن المحبة لما كانت هي نهاية شدة الطلب، وكان المحب شديد الرغبة والطلب، كانت الهمة من مقومات حبه(80).

والمولى – تعالى– خاطب عباده بأسلوب التحبيب ليقرع قلوب السامعين حتى يكون للأمر المراد تبليغه مكانة في قلوبهم، فإنه إذا أراد الترغيب في الشيء حببه إلى من يرجوه، وإذا أحب المخاطب الشيء رغب فيه، واشتاقت نفسه إليه، يقول الطاهر بن عاشور: " هذا الأسلوب أفضل سياسة للنفوس؛ لأنه يجمع إثارة عاملي الخشية والمحبة، وبدوام الارتباط على ذلك يتغلب عامل المحبة؛ لأن المحبة من شأنها النماء، فإذا غلب عامل المحبة صارت الخشية وقاراً واقتضت الطاعة الاختيارية"(81)، ويقول الغزالي: " من لاحظ من صفات الله – تعالى – ما يقتضي اللطف والرحمة كانت المحبة عليه أغلب وليس وراء المحبة مقام"(82)، والله – تعالى- حبب المؤمنين في الإيمان، وحسنه في قلوبهم، وهو قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ

﴿فِي قُلُوبِكُمْ﴾(83)، والمعنى: " قربه وأدخله في قلوبكم ثم زينه فيها بحيث لا تفارقونه ولا يخرج من قلوبكم"(84)، وكلما تمكنت المحبة في القلب ورسخت فيه، كان أذى المحب في رضا محبوبه مستحلى غير مسخوط، والمحبون يفتخرون عند أحبائهم بذلك، فكيف بمحبة الله – تعالى- الذي ابتلاؤه لحبيبه رحمة منه وإحسان؟(85)، " وإذا شهدت القلوب من القرآن ملكاً عظيماً، جواداً رحيماً جميلاً، هذا شأنه، فكيف لا تحبه وتنافس في القرب منه؟! وتنفق أنفاسها في التودد إليه، ويكون أحب إليها من كل ما سواه، ورضاه آثر عندها من رضا كل ما سواه! وكيف لا تلهج بذكره؟ وتصير حبه والشوق إليه والأنس به هو غذاؤها، وقوتها ودواؤها، بحيث إن فقدت ذلك فسدت وهلكت ولم تنتفع بحياتها"(86).

2. الفرح: " وهو انشراح الصدر بلذة عاجلة"(87)، وهذه اللذة تقع في القلب بإدراك المحبوب، ونيل المشتهى، فيتولد من إدراكه حالة تسمى الفرح والسرور(88)، وعبر ابن خلدون عن هذه الحالة بقوله: " إن طبيعة الفرح والسرور هي انتشار الروح الحيواني وتفشيه"(89)، والمؤمنون أشد فرحاً بما آتاهم الله من الهدى، وبما وعدهم به من البشارات، وفي هذا ترغيب لهم؛ لأنه إذا لم تكن في الشيء رغبة فإن وقوعه من عدمه سواء، من حيث الفرح والحزن، يقول ابن القيم: " إن فرح العبد بالشيء عند حصوله له على قدر محبته له، ورغبته فيه، فمن ليس له رغبة في الشيء لا يفرحه حصوله، ولا يحزنه فواته، فالفرح تابع للمحبة والرغبة"(90)، قال – تعالى-: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾(91)، وقوله – تعالى- : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾(92)، وقوله - تعالى-: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾(93).

وما ورد في الآيات هو الفرح المحمود، وهناك الفرح المذموم؛ وهو الذي يلهي صاحبه عن واجباته نحو خالقه، وهو ما ورد النهي عنه في قوله – تعالى- : ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠﴾(95).

وبهذا العرض يظهر: أن الفرح المذموم جاء مطلقاً، فإذا قيد الفرح لم يكن مذموماً؛ لقوله - تعالى-: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾(96)، أي بالقرآن والإسلام فليفرحوا؛ فقيد، فالفرح بنعمة

الله وأداء شكرها عليها فرح محمود، والفرح بغير الحق والفرح مع البطر والاستعلاء مذموم(97)، والله - تعالى- أمر عباده بالفرح بفضله وبرحمته، وذلك تبع للفرح والسرور بصاحب الفضل والرحمة، فإن من فرح بما يصل إليه من جواد كريم، محسن، بر، يكون فرحه بمن أوصل ذلك إليه أولى وأحرى.

3. اللّين: وهو لفظ يدل معناه على الرجاء، بما يتضمنه الكلام من اللين الرقيق، فالمرغب في الأمر إذا أراد جذب سامعيه فعليه أن يلين في كلامه، ولا يغلظ فيه، يقول الطاهر بن عاشور: " القول اللين: الكلام الدال على معاني الترغيب ... بأن يظهر المتكلم أن له من سداد الرأي ما يتقبل به الحق، ويميز به بين الحق والباطل"(98)، وإذا اشتمل الخطاب على اللين كان تأثيره في قلب المخاطب أبلغ؛ لأن القول اللين: "هو الحسن الرقيق"(99)، أما لين القلب فهو رقته وطمأنينته(100)، والمؤمن يرق قلبه ويلين إذا تليت عليه آيات القرآن، وبالتالي يكون ذلك مرغباً للعمل بما فيه، قال – تعالى-: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾(101)، وقوله – تعالى-: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾(102)، وقوله - تعالى-: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾(103)، يقول الطبري: " يعني إلى العمل بما في كتاب الله والتصديق به"(104).

4. الطمع: وهو لفظ من الألفاظ الدالة على الرجاء في القرآن الكريم، وهو: " نزوع النفس إلى الشيء شهوة له"(105)، والطمع عبارة عن الترغيب والرجاء، وكلما زاد الرجاء في الشيء كان الطمع فيه أبلغ؛ لأن نفس الإنسان تشتاق للأمر المرجو وتطمع فيه، ويذكر ابن جزي: أن سبب الرجاء معرفة سعة رحمة الله – تعالى-، ولذلك يسمى الرجاء طمعاً ورغبة(106)، يقال: طمع طمعاً: حرص واشتهى الشيء، ورغب فيه رغبة شديدة(107)، كما يطلق ويراد به الظن كما في قوله - تعالى-: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾(108)، فهذا الإطلاق تأدب مع الله – تعالى-؛ لأنه يفعل ما يريد، وأطلق على رجاء المغفرة لفظ (الطمع) تواضعاً لله – تعالى-، ومباعدة لنفسه عن هاجس استحقاقه المغفرة، وإنما طمع في ذلك لوعد الله بذلك (109).

5. التنافس: ويعني: " التغالب في الشيء النفيس"(110)، وتنافس الرجلان في الخير تسابقا في إحرازه كل يريد أن يستأثر به لنفسه من غير إضرار لغيره(111)، ومنه قوله – تعالى-: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾(112)، والناس لا يتسابقون إلا لنوال نفيس مرغوب فيه(113)، والسعداء منهم هم من سارعوا إلى فعل الخيرات، من أداء الفرائض والنوافل، ومد يد العون للمحتاجين، وصلة الرحم والإحسان إلى الجار، يقول الفخر الرازي: " فيه إشارة إلى أن التنافس يجب أن يكون في مثل ذلك النعيم العظيم الدائم، لا في النعيم الذي هو مكدّر سريع الفناء"(114)، ومنه قوله – تعالى-: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾(115).

وأحق ما تنافس فيه المتنافسون، ورغب في التحلي به والتخلي عن ضده العاقلون، تقوى الله – تعالى- التي بنورها يهتدي المهتدون، وفي أعلى الجنان يحلون، وذلك إنما يكون بالرغبة في الأعمال الموصلة للدرجة العليا، والرهبة من الأعمال الموجبة للخزي والبلية(116)، وعلى هذا المنهج يسير المنهج الإسلامي، مهتماً بالإقناع الوجداني كلما شرع تكليفاً، ويقف بالتكاليف عند الحدود الضرورية لسلامة أفراده، يخاطبهم ليرتفع بالحياة الإنسانية، ويجذبها دائماً بخيط الصعود، ويدع المجال فسيحاً بين الحد الأدنى المطلوب والحد الأعلى المرغوب، تتسابق فيه الأفراد والأجيال على مدى الأزمان والقرون(117).

ثانياً: دلالات الخوف في القرآن الكريم:

1. الوجل:

الوجل مرتبة من مراتب الخوف، ويعني: " استشعار الخوف"(118)؛ أي الحال التي يكون فيها الإنسان عند الشعور بالخوف، وقد يكون عند اقتران الخوف بالفزع، والجمع بينهما، لا أن يكون كل منهما معنى له، يقول الطاهر بن عاشور: " الوجل: خوف مع فزع؛ فيكون لاستعظام الموجود منه"(119).

وعليه فإن الإنسان إذا رهب من أمر خافه، وإذا دخل الخوف قلبه وتمكن منه فإنه يكون وجلاً، وهذه الدرجة تجعله يمتثل لأوامر من يرهبه، وينقاد له،

يقول ابن القيم: " الوجل: رجفان القلب، وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته، أو لرؤيته"(120)، قال - تعالى-: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾(121)، وقوله - تعالى-: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾(122)، وقوله - تعالى-: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾(123).

من خلال أقوال العلماء في معنى الوجل، واستدلالهم بالآيات نلحظ: أن منهم من عرفه: باستشعار الخوف؛ بمعنى ما يجعل الإنسان يشعر به بالفعل، ومنهم من عرفه: بالفزع والخوف، وذلك أن الخوف توقع أمر مؤلم في المستقبل قد يصحبه شعور الألم، وقد يفارقه لضعفه أو لاعتقاد بعد أجله، فالوجل والفزع أخص من الخوف، وقد يكون هذا الخوف من العاقبة المجهولة، وقد يكون من الإجلال والمهابة، وقد روى الطبري وغيره عن أبي الدرداء قوله: الوجل في القلب كإحراق السعفة، أما تجد له قشعريرة؟ قال: بلى، قال: إذا وجدت ذلك في القلب فادع الله، فإن الدعاء يذهب بذلك(124)، وروى الترمذي عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: سألت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن هذه الآية: (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) ، قالت عائشة: هم الذين يشربون الخمر ويسرقون، قال: «لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ (أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ)»(125).

2.الإشفاق:

الإشفاق لفظ يدل على الخوف والخشية في القرآن الكريم، ومعناه: " عناية مختلطة بخوف؛ لأن المشفِق يحب المشفَق عليه ويخاف ما يلحقه"(126)، كما أن الإشفاق مرتبة من مراتب الخوف، إلا أنه مقترن برقة ورحمة في القلب، يقول ابن عطية: " الإشفاق: أشد الخشية ورقة القلب"(127)، ويقول ابن القيم: " الإشفاق: رقة الخوف، وخوف برحمة من الخائف لمن يخاف عليه، فنسبته إلى الخوف نسبة الرأفة إلى الرحمة"(128)، والمؤمن المخلص في عبادته لربه، إذا أثر فيه الترهيب فإنه يخاف، وإذا دخل الخوف قلبه فإنه يشفق من أمرين؛ هما: الخوف من الوقوع في المعصية، أو الخوف من عدم قبول

العمل(129)، ويقول الفخر الرازي: " من يدوم به الخوف والإشفاق فيما كلف به يكون حذراً من التقصير حريصاً على القيام بما كلف به من علم وعمل"(130)، ومنه قوله – تعالى-: ﴿ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾ (131)، وقوله – تعالى-: ﴿ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (132).

3. الخشية:

الخشية: " تألم القلب بسبب توقع مكروه في المستقبل، يكون تارة بكثرة الجناية من العبد، وتارة بمعرفة جلال الله وهيبته، وخشية الأنبياء من هذا القبيل"(133)، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾(134)، وهو ما كان عليه رسول الله -ﷺ-؛ حيث كان أسوة حسنة في طريق خشيته إلى الله، قال -ﷺ-: «... إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً»(135)، ويعرفها القرطبي بقوله: " الخشية أصلها طمأنينة في القلب تبعث على التوقي"(136)، وجاء في تعريف الراغب للخشية: " هي خوف يشوبه تعظيم؛ وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه، ولذلك خص العلماء بها في قوله – تعالى-: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا ۗ ﴾ (137)"(138)، أي يخافونه ويرهبونه مع التعظيم والإجلال، ويؤكد الشوكاني هذا المعنى بقوله: " الخشية الخوف مع التعظيم"(139)، ولا يمكن لأحد قط أن يمتثل لأوامر الله إلا بالخشية، ومتى فقد القلب الخشية انقلبت الطاعة إلى معصية(140)، وكلما عرف الإنسان ربه بالعلم ازداد له خشية، يقول الزمخشري: " من ازداد به علماً ازداد خوفاً"(141)، وكلما خشي المؤمن ازداد تقربه إلى ربه بالطاعات، وانقادت جوارحه لأوامر خالقه؛ لأن الخشية أشد الخوف، وهو نابع أصلاً من الرهبة، فإذا لم تؤثر الخشية في العبد حتى ينزجر ويمتثل لا تعد خشية، ويؤكد الشوكاني هذا المعنى بقوله: " الخشية مع الانهماك في معاصي الله – سبحانه – ليست بخشية على الحقيقة"(142).

يتضح من هذا العرض: أن الخشية والخوف لفظان متقاربان غير مترادفان، والخشية أخص من الخوف؛ فهي للعلماء بالله مقرونة بمعرفة، والخوف حركة، والخشية: انجماع وانقباض وسكون(143)، والدليل على ذلك

قوله – تعالى-: ﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ ٱلْحِسَابِ ﴾ (144)، وقوله - تعالى-: ﴿لَوْأَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ (145)، ومعنى الآية كما يقول القرطبي: " لو أنزل هذا القرآن على جبل لخشع لوعده وتصدع لوعيده؛ وأنتم أيها المقهورون بإعجازه لا ترغبون في وعده، ولا ترهبون من وعيده"(146).

4. القشعريرة:

القشعريرة هي: الرعدة واقشعرار الجلد، يقال: أخذته قشعريرة، واقشعر جلد الرجل اقشعراراً(147)، والاقشعرار الاسم من القشعريرة، ومعناه: التجمع والتقبض، ويعبر بهذا كناية عن شدة الرهبة والخوف، يقول الزمخشري: " اقشعر الجلد: إذا تقبض تقبضاً شديداً، وتركيبه من حروف القشع وهو الأديم اليابس، مضموماً إليها حرف رابع وهو الراء، ليكون رباعياً، يقال: اقشعر جلده من الخوف وقف شعره، وهو مثل في شدة الخوف"(148)، ويعرف الفخر الرازي القشعريرة بقوله: " هي تغيير يحدث في جلد الإنسان عند الوجل والخوف"(149)، ويقول ابن عطية: " هي عبارة عن قف شعر الإنسان عندما يداخله خوف، ولين قلبه عند سماع موعظة أو زجر قرآن ونحوه، وهذه علامة وقوع المعنى المتخشع في قلب السامع"(150).

يلاحظ في الأقوال السابقة اتفاق أصحابها على معنى التجمع والتقبض في الاصطلاح، وفصل الزمخشري ذلك بتركيب حروف المادة اللغوية من القشع، وهو الجلد اليابس، وضرب على ذلك مثلاً، أما ابن عطية فجمع في تعريفه للقشعريرة بين الخوف ولين القلب، وذلك عند سماع ما ينزجر به الإنسان ويتعظ.

ويعبر عن القشعريرة بشدة التأثر بأمر هو موضع الإجلال والتقديس؛ كالذي يحصل عند شدة برد الجسد ورعدته، يقال: " اقشعر جلده، إذا سمع أو رأى ما يثير انزعاجه وروعه، فاقشعرار الجلود كناية عن وجل القلوب الذي تلزمه قشعريرة في الجلد غالباً"(151)، والدليل على دلالة الاقشعرار على الخوف قوله - تعالى-: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ (152)، اقتضت هذه الآية أن القرآن يشتمل على معان تقشعر منها الجلود، وهي

المعاني الموسومة بالجزالة التي تثير في النفوس روعة وجلالة ورهبة تبعث على امتثال السامعين له وعملهم بما يتلقونه من قوارع القرآن وزواجره، وكنى عن ذلك بحالة تقارن انفعال الخشية والخوف في النفس؛ لأن الإنسان إذا رهب اقشعر جلده من أثر ذلك الانفعال الرهبي(153)، وهي صورة حية حساسة ترسمها الكلمات، فتكاد تشخص فيها الحركات(154)، يقول القرطبي: " تقشعر: تضطرب وتتحرك بالخوف مما فيه من الوعيد"(155).

ومن مجموع ما تقدم نفهم: أن للخوف والرجاء دلالات في القرآن الكريم، ومن دلالات الخوف: الوجل، والإشفاق، والخشية، والقشعريرة، كما أن للرجاء دلالات هي: المحبة، والفرح، واللّين، والطمع، والتنافس.

المبحث الرابع

تلازم الخوف والرجاء

كرم الله – تعالى- النفس البشرية، وأنشأها في أحسن صورة، وحباها بعقل تدرك به ما يحيط بها، وتميز به الخطأ من الصواب، وتركيبة الإنسان من الناحية العلمية تتكون من عنصرين أساسيين، هما: الروح، والجسد، ولا يمكن للإنسان أن يحيا بأحدهما دون الآخر، ثم إن القيام بالتكاليف الشرعية لابد أن يكون دائراً بين الخوف والرجاء، وقد أوضح الشاطبي هذه المسالة بقوله: " ومن هنا يتصور للعباد أن يكونوا دائرين بين الخوف والرجاء؛ لأن حقيقة الإيمان دائرة بينهما"(156)، ويقول الغزالي: " ليس بعد أصل اليقين مقام سوي الخوف والرجاء"(157).

والرجاء والخوف لفظان متلازمان، فالرجاء أبداً معه خوف كما أن الخوف معه رجاء، وأقصى غايات المؤمن أن يعتدل خوفه ورجاؤه، وغلبة الرجاء في غالب الناس تكون مستندة للاغترار وقلة المعرفة، وغلبة الخوف تؤدي إلى القنوط واليأس، فلهذا يجب أن يكون العبد خائفاً راجياً، وخوفه ما حال بينه وبين محارم الله، ورجاؤه بأن يرجو ثواب ربه، وإذا أذنب يرجو مغفرته(158)، يقول ابن جزي: " من تفكر في عذابه استفاد الخوف، ومن تفكر في رحمته استفاد الرجاء"(159)، ولهذا عبر أغلب العلماء عن الخوف والرجاء بأنهما متلازمان؛ كالجناحين للطائر، إذا استويا استوى الطير وتم

طيرانه، وإذا شل أحدهما أو قطع أعاق حركة طيرانه، وإذا ذهبا وقع على الأرض ولم يعد قادراً على الطيران، يقول ابن عطية: " الرجاء والخوف كالجناحين للطائر يحملانه في طريق استقامة، وإن انفرد أحدهما هلك الإنسان"(160)، ويقول الغزالي: " إن الرجاء والخوف جناحان بهما يطير المقربون إلى كل مقام محمود"(161)، ويقول ابن القيم: " القلب في سيره إلى الله - ﷻ- بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر"(162)، وروي أن: النبي -ﷺ- دَخَلَ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي المَوْتِ، فَقَالَ: «**كَيْفَ تَجِدُكَ؟**»، قَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَرْجُو اللَّهَ، وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «**لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا المَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ**»(163)، إلا أن المختار للعبد أن يكون خائفاً راجياً، ويكون خوفه ورجاؤه سواء، أما في حال المرض فيغلب الرجاء على الخوف، والآيات في هذا المعنى كثيرة، فيجتمع الخوف والرجاء في آية أو آيتين أو آيات كلها عامة جامعة للخوف والرجاء(164).

وفي الحقيقة أن الإنسان بالنسبة إلى الخوف والرجاء في الدنيا يسير على صراط مستقيم، والقرآن الكريم خاطب العباد بصريح العبارات أن يكونوا على هذه الحالة من الخوف والرجاء، ووصف حال المؤمنين بهذه الصفة، وحذر من الانسياق في الأمن من عذاب الله، أو الاسترسال في اليأس من رحمته، فهم بين قوله تعالى: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(165)، وقوله تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾(166)، فالآية الأولي تقرر أن اليأس ليس من صفة أهل الإيمان، وإنما هو صفة أهل الكفر، وأنكرت الآية الثانية على من يرجّح كفة الرجاء والأمن؛ لأن ذلك يؤدي إلى الخسران.

وتعددت أقوال العلماء في هذا المعنى، وكلهم متفقون على اعتدال الخوف والرجاء، يقول الغزالي: " فأما التقي الذي ترك ظاهر الإثم وباطنه وخفيه وجليه فالأصلح أن يعتدل خوفه ورجاؤه، ولذلك قيل: لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا"(167)، ويقول ابن جزي: " ينبغي أن يكون الرجاء والخوف معتدلين فإن الخوف إذا فرط قد يعود إلى اليأس وهو حرام، والرجاء

إذا فرط قد يعود إلى الأمن وهو حرام"(168)، ويقول النووي: " اعلم أن المختار للعبد في حال صحته أن يكون خائفاً راجياً، ويكون خوفه ورجاؤه سواء "(169)، ويقول ابن القيم: " أكمل الأحوال: اعتدال الرجاء والخوف"(170).

وقد ورد الجمع بين الخوف والرجاء في القرآن الكريم في غير ما آية، ومن هذه الآيات:

1- قوله تعالى: ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ﴾(171).

جمعت الآية بين الخوف والرجاء، وجاء الرجاء بلفظ الطمع، يقول ابن جزي: " الرجاء سببه معرفة سعة الله، ويسمى طمعاً ورغبة"(172)، وفي الآية حث للداعي عند دعائه أن يكون جامعاً للخوف والرجاء، يقول ابن عطية: " أمر بأن يكون الإنسان في حالة ترقب وتخوف وتأميل لله -ﷻ- حتى يكون الرجاء والخوف كالجناحين للطائر يحملانه في طريق استقامة"(173)، ومن هذا المقصد شمل الخوف والرجاء جميع ما تتعلق به أغراض المسلمين نحو ربهم في عاجلهم وآجلهم، ليدعوا الله بأن ييسر لهم أسباب حصول ما يرجون، وأن يجنبهم أسباب حصول ما يخافون(174)، يقول الفخر الرازي: " أن تكونوا جامعين في نفوسكم بين الخوف والرجاء في كل أعمالكم"(175)، ويقول أبو السعود: " من الإحسان في كل الدعاء أن يكون مقروناً بالخوف والطمع"(176)، والظاهر من معنى الآية أنه يشرع للداعي أن يكون خائفاً راجياً إجابة الله لدعائه، وورد في الحديث عن رب العزة – ﷻ -، قال: « يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي»(177)، ويؤكد الشوكاني أن الدعاء يكون مجاباً إذا جمع الداعي بين الخوف والرجاء، بقوله: " إذا كان الدعاء جامعاً بين الخوف والرجاء ظفر بمطلوبه"(178).

بهذا نستيقن أن الدعاء هو مخ العبادة، وأنه – تعالى- أمر به في غير ما آية، منها قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾(179)، وإجابة الدعاء من الله كائنة لا محالة إن استوفى شروطه عاجلاً أم آجلاً.

2- قوله – تعالى-: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾(180).

تبين الآية أن من حكمته – تعالى – عند لمعان البرق أن يكون هناك خوف وطمع، وقد اختلف في نصبهما، فقيل: هما حالان، وقيل على المصدرية، والراجح أن المعنى ترقبونه وتتراءونه تارة لأجل الخوف وتارة لأجل

الطمع(181)، وما هو معروف عند لمعان البرق أن يخاف بعض الناس وقوع الصواعق، التي تحرق كل ما تصيبه، وعند فريق آخر من الناس من يطمع في نزول الغيث للانتفاع به؛ لأن الغالب نزول المطر بعد حدوث البرق، يقول ابن عطية: " والظاهر أن الخوف إنما هو من صواعق البرق، والطمع في المطر الذي يكون بعده"(182)، ويقول الزجاج: " خوفاً للمسافر؛ لأن في المطر خوفاً على المسافر، كما قال الله تعالى: ﴿إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ﴾(183)، وطمعاً للحاضر لانتفاعه بالمطر"(184)، ويقول الشوكاني: " المراد بالخوف هو الحاصل من الصواعق، وبالطمع هو الحاصل في المطر"(185).

3- قوله - تعالى- : ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾(186).

اقترن في الآية رجاء الرحمة بالخوف من العذاب، وهو جمع لا تتم العبادة إلا به، يقول ابن كثير: " لا تتم العبادة إلا بالخوف والرجاء، فبالخوف يُنكَفّ عن المناهي وبالرجاء يُكْثَرُ من الطاعات"(187)، والملاحظ في الآية تقديم الرجاء على الخوف، يقول الطاهر بن عاشور: " ذكر الخوف بعد رجاء الرحمة للإشارة إلى أنهم في موقف الأدب مع ربهم فلا يزيدهم القرب من رضاه إلا إجلالاً له وخوفاً من غضبه"(188).

4- قوله - تعالى-: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾(189).

يمدح المولى – جل شأنه – في الآية عباده المؤمنين بقيام الليل وترك النوم والاضطجاع، ويصفهم بالحالة التي هم فيها، وهي جمعهم بين الخوف والرجاء أثناء دعائهم، ويبين الفخر الرازي: أن في الآية إشارة إلى العبادة، كمن يخدم الملك الجبار مخافة سطوته، أو يخدم الملك الجواد طمعاً في بره(190)، والمعنى: خوفاً من عذاب الله، وطمعاً في ثواب الله(191)، يقول ابن كثير: " خوفاً من وبال عقابه، وطمعاً في جزيل ثوابه"(192).

5- قوله - تعالى-: ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو﴾(193).

يمدح الله – تعالى– من يقوم الليل ساجداً وقائماً، وهو في حال تعبده جامعاً بين الخوف والرجاء، وأكثر العلماء: أن الآية نازلة في حق عثمان

بـن عفان -ﷺ-، وهـو ما أورده الواحدي والسيوطي عن ابن عمر -ﷺ- : أن هذه الآية نزلت في عثمان بن عفان(194)، والمعنـى فـي حال عبادته جامع بين الخوف والرجاء، ويفصل ابن كثير الكلام في مفهوم هذا الجمع، ويشتـرطه فـي العبادة بقـوله: " أي فـي حال عبادته خائف راج، ولابـد فـي العبادة من هذا وهذا"(195)، ويقول الشوكاني: " يجمع بين الخوف والرجاء ومـا اجتمعا في قلب رجل إلا فاز"(196).

يتضح من دراسة هذا المبحث: أنه لابد للمؤمن أن يعتدل خوفه ورجاؤه، ولا يغلب أحدهما على الآخر إلا في المقام الذي يتناسب فيه التغليب، ومما استنتج: أن اعتدال الخوف والرجاء أقصى غايات المؤمن؛ لأن الخوف والرجاء كالجناحين للطائر، وهذا يدل أن الانفراد بالرجاء وحده يؤدي إلى الاغترار والتكاسل عن الطاعات، كما يـدل الانفراد بالخوف على القنوط والإياس.

الخاتمة

الحمـد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام سـرمداً علـى نبينا ورسولنا وإسوتنا وإمامنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحابته ومن سار فـي هديهم إلى يوم الدين.

بعد هـذه الجولة فـي كتاب الله من خلال دراسة العلاقة المترابطة بين كل من الخوف والرجاء، نخلص بنتيجة مفادها: أن في القرآن معاني لا تكاد تفترق؛ مثل جزاء المؤمنين والكافرين، وذكر الجنة والنار، والخوف والرجاء، ومن هنا يلزم المؤمن أن يبقى بين طرفي الرجاء والخوف، دون أن يطغى أحدهما على الآخر، لا يشتد في نفسه الأمل برحمة الله – تعالى – إلى درجة التكاسل عن أداء الواجبات، ولا يشتد فيهـا عامـل الخوف إلى درجة اليأس والقنوط، ومن هنا تتجلى حكمته – تعالى – في إقامة عدله علـى خلقه، فهو – سبحانه – وعد المؤمنين بدخول الجنة إن أطاعوه، حتى لا ييأس أحد منهم في الدخول إليها، وتوعّد الكافرين النار.

وقد تسنى للباحث الخروج بخلاصة تتضمن أهم النتائج التي تم إجمالها في ما يلي:

1- يعد الجمع بين الخوف والرجاء عادة قرآنية، قلما تجد رجاء إلا ويعقبه تخويف وإنذار.

2- العلاقة بين الخوف والرجاء تتفاوت بحسب نوع الخطاب والسياق، فأحياناً يتساوى الخوف مع الرجاء، وأحياناً يغلب أحدهما على الآخر بحسب نوع الخطاب، كتقديم أحدهما على الآخر، أو ترجيح أحدهما على الآخر بذكر الثواب أو العقاب، فكل نوع من العذاب يقابله نوع من الثواب.
3- أساس العلاقة بين الخوف والرجاء هو مبدأ الجمع الذي يشترك فيه هذان المصطلحان؛ لأن كل ضد بإضافته إلى مضاده يكوّن منهجاً معيناً، فالغنى ضد الفقر، والحياة ضد الموت، ومن هذا المنطلق، فإن علاقة الخوف مع الرجاء علاقة متعددة؛ لأنها بنية شاملة، تتكون من مجموعة من العناصر، وكل عنصر منها مكمل للآخر، ولا يمكن انفكاكه عن نظير.
4- مجال الاستفادة من منهج الجمع بين الخوف والرجاء هم الوعاظ في مجال الدعوة، والآباء في تربية أبنائهم، والمدرسون في التعامل مع تلاميذهم، وهذا يحتم عليهم أن يكونوا على دراية تامة برغبات وتطلعات وآمال من يحدثونهم، مع استخدام أسلوب التخويف والتغليظ بين الفينة والأخرى، كل حسب مقامه.
5- الإسلام دين سماحة ويسر، لا كما يتهمه أعداؤه المتربصون به، بوصفهم: أنه دين إرهاب وعنف، والسبب في ذلك يرجع إلى جهلهم به، وعدم علمهم بمبادئه السمحة.
6- يتضح من آيات التخويف في القرآن أن جلها تحذير من ذنب أو معصية، ويتمثل هذا الوعيد في الاقتران بنار أو لعنة أو غضب أو عذاب.
7- الترجية والبشارة تكون للمؤمنين خاصة، والتخويف والإنذار يكون لهم ولغيرهم، فقد يوجه التخويف والإنذار للمؤمنين على معنى أنهم هم المنتفعون به.

المصادر والمراجع

1- لسان العرب/ أبـو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأفريقي (ت: 711ه)، تحقيق: نخبة من الأساتذة، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، 1423هـ - 2003م، (200/2)، مادة: (جمع).
2- المفردات فـي غريب القرآن/ أبـو القاسم حسين بن محمد بن الفضل المعروف بالـراغب الأصفهاني (ت: 502ه)، تحقيق: محمد خليل عيتابي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: 4، 1426هـ - 2005م، (104)، مادة: (جمع).
3- سورة القيامة، 9.
4- التعريفات الفقهية/ محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: 1، 1424هـ - 2003م، (72).
5- التسهيل لعلوم التنزيل/ أبو عبدالله محمد المدعو بالقاسم بن أحمد بن جزي الكلبي (ت: 741ه)، تحقيق: رضا فرج الهمامي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا – بيروت – لبنان، 1426هـ - 2005م، (41/1).
6- سورة التوبة، 82.
7- سورة فاطر، 22.
8- صحيح البخاري/ أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: 256ه)، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، كتاب: الرقاق، باب: قول النبي -ﷺ-: « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا»، بيت الأفكار الدولية للنشر، لبنان، 2005م، حديث رقم (6485)، صحيح مسلم/ أبـو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابـوري (ت: 261ه)، إخـراج وتنفيذ: فريق بيت الأفكار الدولية، كتاب: الفضائـل، باب: توقيره -ﷺ-، بيـت الأفكار الدولية للنشر، لبنان، 2005م، حديث رقم (2359).
9- البرهان في علوم القرآن/ بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي (ت: 794ه)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا – بيروت- لبنان، ط: 1، 1425هـ - 2004م، (279/3).
10- سورة الزلزلة، 7 - 8.

11- صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: (ومن يعمل مثقال ذرة خيراً)، حديث رقم (4963)، ينظر: الموطأ/ مالك بن أنس، برواية: يحي بن يحي بن كثير الليثي، كتاب: الجهاد، باب: الترغيب في الجهاد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: 1، 1409هـ - 1989م، حديث رقم (0975).

12- أحكام القرآن/ أبو بكر محمد بن عبدالله بن العربي (ت: 543ه)، تحقيق: رضى فرج الهمامي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا – بيروت- لبنان، 1426هـ - 2005م، (338/4).

13- تفسير التحرير والتنوير/ محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس 1997م، (495/30).

14- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير/ محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت: 1250ه)، (1523)، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: 1، 1421هـ - 2000م، (1523).

15- التفسير الواضح/ د. محمد محمود حجازي، جامعة الأزهر – كلية أصول الدين، ط: 7، د: ت، (81/30).

16- ينظر: الصّحَاح/ إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: 393ه)، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: 1، 1426هـ - 2005م، (323)، مادة: (خوف)، لسان العرب، (252/3)، مادة: (خوف).

17- الجامع لأحكام القرآن/ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت: 671ه)، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: 1، 1425هـ - 2004م، (305/1).

18- لسان العرب، (252/3)، مادة: (خوف).

19- الصحاح، (323) مادة: (خوف).

20- أساس البلاغة/ جار الله فخر خوارزم محمود بن عمر الزمخشري (ت: 538ه)، قدم له وعلق عليه: د/ محمد أحمد قاسم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا – بيروت – لبنان، ط: 1، 1423هـ - 2003م، (242)، مادة: (خوف).

21- الصحاح، (323)، مادة: (خوف)، لسان العرب، (253/3) مادة: (خوف).

22- سورة النحل، (47).
23- اختلف في قائل هذا البيت، فنسبه الجوهري إلى ذي الرمة، ونسبه ابن منظور إلى ابن مقبل، ونسبه الزمخشري إلى زهير، ونسبه القرطبي إلى أبي كبير الهذلي، ينظر: الجامع لأحكام القرآن، (1771/2)، تفسير التحرير والتنوير، (22/1).
24- التعريفات/ علي بن محمد بن علي الجرجاني، (ت: 816ه)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الديان للتراث، د: ت، (137)، التعريفات الفقهية، (90).
25- إحياء علوم الدين/ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت: 505ه)، تحقيق: أبو حفص سيد بن إبراهيم بن صادق بن عمران، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، 1419هـ - 1988م، (224/4).
26- المفردات في غريب القرآن، (166)، مادة: (خوف).
27- مدارج السالكين في شرح منازل السائرين/ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي ابن قيم الجوزية (ت: 751ه)، تحقيق: الداني بن منير آل زهوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا – بيروت – لبنان، ط: 1، 1424هـ - 2003م، (390/1).
28- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت: 541هـ)، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: 1، 1423هـ - 2002م، (1709).
29- الجامع لأحكام القرآن، (1297/1)، وهو ما ذكره الشوكاني في تفسيره، ينظر: فتح القدير، (593).
30- مدارج السالكين، (390/1).
31- سورة قريش، 4.
32- سورة آل عمران، 175.
33- جامع البيان عن تأويل آي القرآن/ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: 310هـ، تحقيق: نخبة من الأساتذة، إشراف وتقديم: أ . د/ عبد الحميد عبد المنعم مدكور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة – مصر، ط: 1، 1425هـ - 2005م، (5198/7).
34- سورة الإسراء، 59.

35- مكاشفة القلوب/ أبـو حامد محمد بن محمد بن محمـد الغزالي (ت: 505 هـ)، تحقيـق: سعـد يونس أبو عزيز، دار الفجر للتراث، القاهرة – مصر، ط: 1، 1419 هـ - 1998م، (145).
36- الصحاح، (392)، مادة: (رجأ).
37- لسان العرب، (92/4 – 93)، مادة: (رجأ).
38- أساس البلاغة، (302) مادة: (رجو).
39- المصدر السابق، (303)، مادة: (رجو).
40- الجامع لأحكام القرآن، (967/1).
41- سورة نوح، 13.
42- الجامع لأحكام القرآن، (3155/2).
43- أحكام القرآن لابن العربي، (236/4).
44- لسان العرب، (67/4)، مادة: (رجو)، التعريفات، (268)، التسهيل لعلوم التنزيل، (57/1).
45- أساس البلاغة، (299)، مادة: (رجأ).
46- التعريفات، (146)، فتح القدير، (593)، التعريفات الفقهية، (102).
47- المفردات في غريب القرآن، (194).
48- إحياء علوم الدين، (207/4).
49- مدارج السالكين، (35/2).
50- تفسير التحرير والتنوير، (338/2).
51- المصدر السابق، (247/20).
52- المفردات في غريب القرآن، (134)، مادة: (حكم).
53- تفسير القـرآن العظيـم/ أبـو الفداء إسماعيل بـن كثير القرشي الدمشقي (ت: 774هـ)، تحقيـق: خالد محمد محـرم، المكتبـة العصرية للطباعة والنشر والتوزيـع، صيـدا – بيـروت – لبنـان، ط: 1، 1425هـ - 2004م، (30/1).
54- سورة النساء، 40.
55- مدارج السالكين، (380/2).
56- تفسير المنار، (120/7 – 121).
57- سورة المائدة، (98).
58- تفسير المنـار/ محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط: 2، د: ت، (121/7).

59- التفسير الكبير/ فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسين التميمي الرازي الشافعي (ت: 604ه)، تحقيق: هاني الحاج – عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، القاهرة – مصر، 2003م، (20/27).
60- التبيان في أقسام القرآن/ محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي ابن قيم الجوزية (ت: 751ه)، تحقيق: محمد العرب، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا – بيروت – لبنان، 1426هـ - 2005م، (9).
61- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام/ محمد الطاهر ابن عاشور (ت: 1970م)، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة – مصر، ط: 2، 1427هـ - 2006م، (121) .
62- سورة الإسراء، (39).
63- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، (21 – 22).
64- سورة البقرة، (143).
65- هذا ما ذكره الترمذي في سننه، عقب تعليقه على الحديث الذي ذكر فيه الآية، ينظر: سنن الترمذي، (885).
66- أنوار التنزيل وأسرار التأويل/ ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي (ت: 791ه)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: 1، 1424هـ - 2003م، (439/1).
67- أسلوب التعقيب في القرآن الكريم/ د. محمد كريم الكواز، منشورات جامعة السابع من إبريل، الزاوية – الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، ط: 1، 1425 ميلادي، (91 – 92).
68- البرهان في علوم القرآن/ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت: 794ه)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا – بيروت – لبنان، ط: 1، 1425هـ - 2004م، (331/1).
69- منهج القرآن الكريم في تقرير الأحكام/ مصطفى محمد الباجقني، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس – الجماهيرية، ط: 1، 1984م، (344).
70- إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد/ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المرتضى الحسني القاسمي (ت: 840هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: 2، 1987م، (354).
71- سورة محمد، (6).

72- أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم/ د. الحسين جرنو محمود جلو، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: 1، 1414هـ - 1994م، (265).
73- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان/ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، تحقيق: مجدي السيد، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ط: 7، 1419هـ - 1999م، (78).
74- سنن الترمذي، كتاب: الدعوات، باب: اللهم ألهمني رشدي، حديث رقم (3483)، وقال الترمذي: " هذا حديث غريب، وقد روي هذا الحديث عن عمران بن حصين من غير هذا الوجه"، وحكم الألباني على الحديث (ضعيف).
75- مقاصد الشريعة الإسلامية/ محمد الطاهر ابن عاشور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة – مصر، ط: 1، 1426هـ - 2005م، (120) .
76- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، (208).
77- أعلام الموقعين عن رب العالمين/ أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية (ت: 751ه)، تحقيق: هاني الحاج، المكتبة التوفيقية، د: ت، (3/3).
78- سورة الأنفال، (2).
79- التفسير ورجاله/ محمد الفاضل بن عاشور، شركة الإعلانات الشرقية، دار الجمهورية للصحافة، مجلة الأزهر، 1425هـ، (35/1 – 36).
80- مدارج السالكين، (28/3).
81- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، (78).
82- إحياء علوم الدين، (238/4).
83- سورة الحجرات، (7).
84- التفسير الكبير، (113/28).
85- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، (489).
86- الفوائد/ شمس الدين بن محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي الدمشقي ابن قيم الجوزية (ت: 751ه)، مكتبة المتنبي، القاهرة – مصر، د: ت، (28).
87- المفردات في غريب القرآن، (377)، مادة: (فرح).

88- مدارج السالكين، (123/3)، الجامع لأحكام القرآن، (1533/1).
89- مقدمة ابن خلدون/ أبو زيد ولي الدين عب دالرحمن بن محمد بن خلدون (ت: 808هـ)، تحقيق: أحمد الزعبي، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، د: ت، (116).
90- مدارج السالكين، (124/3).
91- سورة يونس، (58).
92- سورة الرعد، (36).
93- سورة آل عمران، (170).
94- سورة القصص، (76).
95- سورة هود، (10).
96- سورة يونس، (58).
97- الجامع لأحكام القرآن، (1533/1).
98- تفسير التحرير والتنوير، (225/16).
99- القاموس القويم للقرآن الكريم/ إبراهيم أحمد عبد الفتاح، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة – مصر، ط: 1، 1427هـ - 2006م، (477).
100- الجامع لأحكام القرآن، (2675/2).
101- سورة آل عمران، (159).
102- سورة طه، (44).
103- سورة الزمر، (23).
104- تفسير الطبري، (7066/9).
105- المفردات في غريب القرآن، (310)، مادة: (طمع)، عمدة الحفاظ، (1583/3)، مادة: (طمع)، قاموس الألفاظ القرآنية، (232)، مادة: (طمع).
106- القوانين الفقهية/ أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي (ت: 741ه)، تحقيق: محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: 1، 1418هـ - 1998م، (320)، التسهيل لعلوم التنزيل، (56/1).
107- القاموس القويم للقرآن الكريم، (307).
108- سورة الشعراء، (82).
109- تفسير التحرير والتنوير، (128/19 - 129 – 143).

110- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم/ أبو السعود بن محمد العمادي (ت: 972ه)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، د: ت، (842/5).
111- التفسير الكبير، (100/31).
112- سورة المطففين، (26).
113- تفسير التحرير والتنوير، (286/27).
114- التفسير الكبير، (100/31).
115- سورة الحديد، (20).
116- فتح القريب المجيب على تهذيب الترغيب والترهيب/ السيد علوي بن السيد عباس المالكي الحسيني (ت: 1391ه)، تحقيق: السيد محمد بن علوي بن عباس المالكي المكي الحسيني، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا – بيروت – لبنان، 1428هـ - 2007م، (53 – 54).
117- العدالة الاجتماعية في الإسلام/ سيد قطب، دار الشروق، بيروت – لبنان 1415هـ - 1995م، (74).
118- المفردات في غريب القرآن، (528)، مادة: (وجل)، عمدة الحفاظ، (2809/4)، مادة: (وجل).
119- تفسير التحرير والتنوير، (256/9).
120- مدارج السالكين، (389/1).
121- سورة الأنفال، (2).
122- سورة الحج، (34 – 35).
123- سورة المؤمنون، (60).
124- تفسير الطبري، (3769/5)، تفسير القرآن العظيم، (263/2)، تفسير المنار، (559/9).
125- سنن الترمذي، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة المؤمنون، حديث رقم (3175)، سنن ابن ماجه، كتاب: الزهد، باب: التوقي على العمل، حديث رقم (4198)، مسند الإمام أحمد، (159/6 – 205)، وحكم الألباني على الحديث (صحيح).
126- المفردات في غريب القرآن، (267)، مادة: (شفق).
127- المحرر الوجيز، (1283 – 1773)، وينظر: أساس البلاغة، (447)، مادة: (شفق).

128- مدارج السالكين، (392/1).
129- المصدر السابق، (392/1 – 393).
130- التفسير الكبير، (120/30).
131- سورة الأنبياء، (28) .
132- سورة الأنبياء، (49).
133- التعريفات، (33)، التعريفات الفقهية، (86).
134- سورة الأحزاب، (39).
135- صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: من لم يواجه الناس بالعتاب، حديث رقم (6101)، صحيح مسلم، كتاب: الفضائل، باب: علمه -ﷺ- بالله وشدة خشيته، حديث رقم (2356)، سنن أبي داود، كتاب: الصوم، باب: فيمن أصبح جنباً في شهر رمضان، حديث رقم (2389)، مسند الإمام أحمد، (67/6).
136- الجامع لأحكام القرآن، (305/1).
137- سورة فاطر، (28).
138- المفردات في غريب القرآن، (155)، مادة: (خشي).
139- فتح القدير للشوكاني، (1130).
140- عدة الصابرين/ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (ت: 751ه)، تحقيق: د. محمد بكر إسماعيل، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة – مصر، 1221هـ - 1918م، (26).
141- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل/ جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت: 538هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود – علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض – السعودية، ط: 1، 1418هـ - 1998م، (154/5).
142- فتح القدير للشوكاني، (1961).
143- مدارج السالكين، (388/1 – 389)، تفسير التحرير والتنوير، (101/28).
144- سورة الرعد، (21).
145- سورة الحشر، (21).
146- الجامع لأحكام القرآن، (3043/2).

147- الصحاح، (861)، مادة: (قشعر)، لسان العرب (372/7)، مادة : (قشعر).
148- الكشاف، (301/5).
149- التفسير الكبير، (249/26).
150- المحرر الوجيز، (1615).
151- تفسير التحرير والتنوير، (388/23).
152- سورة الزمر، (23).
153- تفسير التحرير والتنوير، (388/23)، روح المعاني، (259/23).
154- في ظلال القرآن/ سيد قطب، دار الشروق، بيروت – لبنان، ط: 10، 1402هـ - 1982م، (3043/5).
155- الجامع لأحكام القرآن، (2674/2).
156- الموافقات في أصول الشريعة/ أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت: 790هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا – بيروت – لبنان، ط: 1، 1423هـ - 2002م، (231/3)
157- إحياء علوم الدين، (242/4).
158- شرح العقيدة الطحاوية/ ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: محمد بن رياض الأحمد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا – بيروت – لبنان، ط: 1، 1427هـ - 2006م، (304).
159- القوانين الفقهية، (321).
160- المحرر الوجيز، (711)، ينظر: الجامع لأحكام القرآن، (1297/1).
161- إحياء علوم الدين، (206/4).
162- مدارج السالكين، (392/1).
163- سنن الترمذي، كتاب: الجنائز، باب: ما جاء أن المؤمن يموت بعرق الجبين، حديث رقم (983)، سنن ابن ماجه، كتاب: الزهد، باب: ذكر الموت والاستعداد له، حديث رقم (4261)، الترغيب والترهيب، (139/4).
164- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين/ أبو زكريا يحي بن شرف النووي (ت: 676هـ)، تحقيق: عبد الرحمن حسن هاشم، دار الدعوة الإسلامية، القاهرة – مصر، ط: 1، 1420هـ - 1999م، (126).
165- سورة يوسف، (87).

166- سورة الأعراف، (99).
167- إحياء علوم الدين، (238/4).
168- القوانين الفقهية، (320).
169- رياض الصالحين، (126).
170- مدارج السالكين، (392/1).
171- سورة الأعراف، (56).
172- القوانين الفقهية، (320).
173- المحرر الوجيز، (711)، ينظر: الجامع لأحكام القرآن، (1297/1)
174- تفسير التحرير والتنوير، (176/8).
175- التفسير الكبير، (121/14).
176- تفسير أبي السعود، (256/2).
177- سنن الترمذي، كتاب: الدعوات، باب: يا ابن آدم إنك ما دعوتنى، حديث رقم (3540).
178- فتح القدير للشوكاني، (593).
179- سورة غافر، 60.
180- سورة الرعد، 12.
181- إعراب القرآن الكريم وبيانه/ أ. محي الدين الدرويش، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت، ط: 9، 1426هـ - 2005م، (77/4).
182- المحرر الوجيز، (1034).
183- سورة النساء، (102).
184- معاني القرآن وإعرابه/ أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت: 311هـ)، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتاب، بيروت – لبنان، ط: 1، 1408هـ - 1988م، (142/3).
185- فتح القدير للشوكاني، (882).
186- سورة الإسراء، 57.
187- تفسير القرآن العظيم، (46/3).
188- تفسير التحرير والتنوير، (140/15).
189- سورة السجدة، (16).
190- التفسير الكبير، (158/25).

191- المحرر الوجيز، (1496)، الجامع لأحكام القرآن، (2443/2).
192- تفسير القرآن العظيم، (439/3).
193- سورة الزمر، (9).
194- أسباب النزول/ أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت: 468ه)، تحقيق: أيمن صالح شعبان، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، 1424هـ - 2003م، (286)، لباب النقول في أسباب النزول/ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: 911ه)، تحقيق: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا – بيروت - لبنان 1424هـ - 2003م، (271)، أسباب النزول عن الصحابة والمفسرين/ عبد الفتاح عبد الغني القاضي، تحقيق: أحمد عبد الرازق البكري، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة – مصر، ط: 2، 1426هـ - 2005م، (195).
195- تفسير القرآن العظيم، (43/4).
196- فتح القدير للشوكاني، (1530).